حكاية الكلب بندق

وقصص أخرى ..

تأليف أ.د. فتحي الصنفاوي
رسوم الفنان / أحمد عبد النعيم



مؤسسة دار التعاون
للطبع والنشر



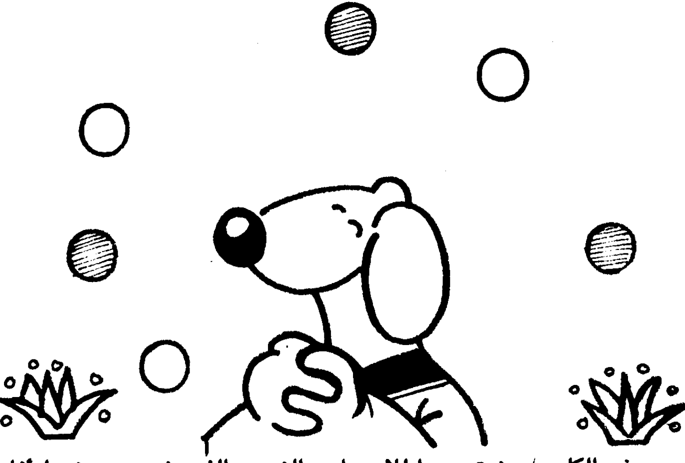
رئيس مجلس الأدارة
سلامة أبو زيد
رئيس التحرير
سعيد نور الدين

٦ شارع عبد القادر حمزة - جاردن سيتى - القاهرة - ت : ٣٥٤٣٣١٣

حكاية

الكلب

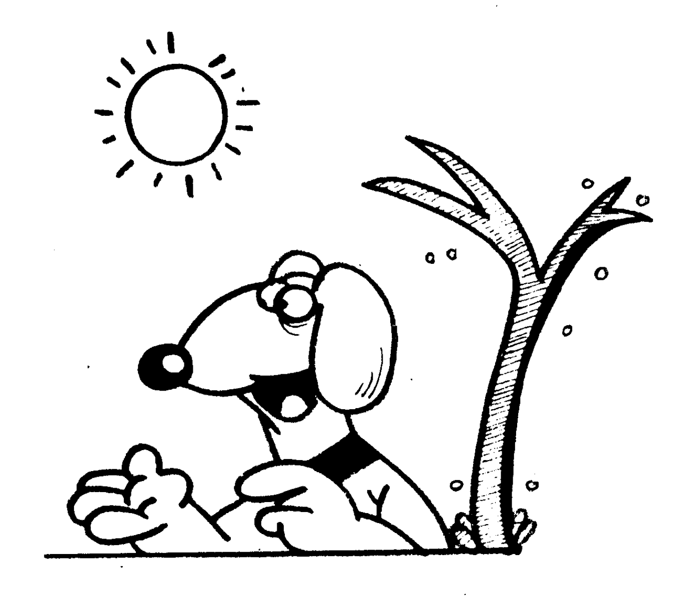
بندق



لم يعرف الكلب / بندق سببا للإحساس الغريب الذى شعر به عندما أفاق من غفوته مهموما مكتئبا حزينا .. ، فقد غلبه النعاس لفترة غير قصيرة ، وأحس بدفء شمس الصباح اللذين يتسلل إلى جسده وهو مسترخ على المشاية المفروشة فى فراندة الفيللا التى تربى وعاش بها ، فقد جاء به صاحبه الرجل الطيب الحاج / أحمد وهو جرو صغير إلى منزله منذ عدة سنوات ، وها هو يرقد إنتظارا لنداء سيده وحبيبه ، ليهب إليه مسرعا فرحا يهز ذيله ويتمسح به ، واليوم .. بلغت الساعة الثامنة ، ولم يستدعه أو يخرج إليه أو يره بعد حتى الآن على غير العادة ، لقد تأخر فى نومه اليوم كثيرا .. لعل المانع خيرا ، فالحاج / أحمد رجل كهل ضرير ، يعيش وحيدا بعد وفاة زوجته التى لم تنجب له أولادا لحكمة لا يعلمها إلا الله .

كان / بندق طوال الليلة الماضية يحاول أن يجد سببا وتفسيرا للتوتر والضيق الذى انتابه ، فقد ظل قلقا يدور متجولا حائرا فى الفراندة ، ثم يهبط إلى الحديقة ناحية حجرة نوم صاحبه ، ويعود ثانية إلى مكانه ليهبط مرة أخرى إلى الحديقة ، وهكذا تكررت تلك الحيرة عشرات المرات طوال الليل دون أن يذق طعم الراحة أو النوم ، وبين الحين والحين .. تصدر منه رغما عنه تأوهات وأنات هى أقرب للعواء منها إلى النباح ، وهو ماأزعج بشدة عم / حسنين بواب وحارس الفيللا ، فأخذ يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم قائلا :

= « مالك يا بندق ، ماذا جرى لك الليلة .. ؟ اللهم اجعله خير يارب .. » .



ناداه عم حسنين وأجلسه إلى جواره ، يربت على ظهره من حين إلى حين ليهدأ حتى بدا نور الصباح ، وما أن بزغت الشمس حتى إنتقل / بندق إلى الفراندة ، وجلس بها حتى غلبه النعاس وهو وجل غير مطمئن ، ولما أفاق من غفوته .. أخذ يتمطى متكاسلا ، وفجأة .. إخترقت أذنيه صرخة مدوية صدرت من المنزل ، فهب واقفا وسمع عم حسنين يتمتم قائلا :ـ

= « يا ستار يارب .. سلام قولا من رب رحيم .. اللهم اجعله خيرا .. ؟ » .

ولم تمض ثوان معدودة ، حتى كان البواب وخلفه بندق يجريان وثبا نحو مصدر الصوت ، وأمام حجرة نوم الحاج / أحمد وقفت / عزيزه الشغالة تصرخ مولولة وهى تقول :ـ

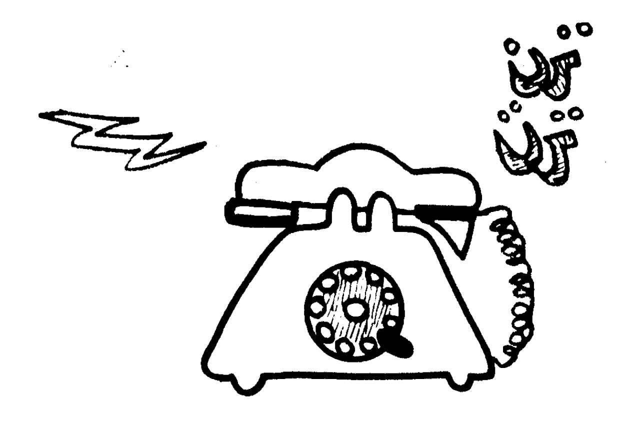
= « الحقنى ياعم حسنين .. ، لقد دخلت بطعام الافطار على الحاج / أحمد كالعادة كل صباح ، ولكنه لم يجبنى وأنا أوقظه ، وعندما اقتربت منه .. وجدته والدوام لله قد فارق الحياة ، إنا لله وإنا إليه راجعون .. ، حبيبك مات يابندق وأصبحنا كلنا يتامى بدونه ، رحمه الله وأحسن مثواه » .



ارتعدت أوصال / بندق وكأنه فهم تماما مايدرو حوله ، وصدقت أحاسيسه التى انتابته طوال الليلة السابقة ، وأحس بالفعل بأن قطعة من روحه قد سلبت منه ، فجلس مكانه صامتا فى أسى والدموع تسيل من عينيه ، .. وهنا صاحت الخادمة قائلة :

= « سبحان الله .. إن الكلب يبكى مثلنا تماما » . رد عليها البواب على الفور :

= « طبعا .. ألم يكن سنده وجليسه الذى لم يفارقه ابدا منذ أن كان جروا صغيرا ، وكان المرحوم يحبه ويثق به كثيرا ، نعم .. فهو الذى أدبه ودربه ليكون عينيه التى يرى بهما ، يقوده ويحرسه ويلازمة فى تنقلاته داخل وخارج البيت ، يسرع لخدمته وتنفيذ أوامره كخادم أمين ، ولأنه كلب ذكى .. ، كان يناوله عصاه ويفتح له الأبواب ويستدعى له من يطلب منا ويحضر له مايريد .. ، وقد بلغت الصلة بين الحاج أحمد و / بندق مبلغا صار مضرب الأمثال لمدى العلاقة الحميمة بين الكلب وصاحبه ، وفاء وحباً وحنوا وترابطا وتفاهما .



أسرع البواب إلى التليفون ، ليستدعى الأستاذ / عبدالمنعم سكرتير الحاج المرحوم وراعى شئونه المالية ، واستدعى كذلك أقرباؤه القليلون الذين يعرفهم لكى يقوموا بالإجراءات اللازمة فى مثل تلك الظروف ، وهكذا قدر لـ / بندق وكل من فى المنزل أن تتغير حياتهم طولا وعرضا منذ ذلك التاريخ .



تمت إجراءات جنازة الحاج على مايرام ، وشيعه إلى مثواه الأخير عدد كبير من جيرانه وأحبائه ومعارفه وأهله ، يتبعهم كلبه وخادمته وحارسه فى أسى وحزن شديد ، رجع الجميع كل إلى بيته إلا / بندق .. بندق فقط .. ، فقد ظل لعدة أيام راقدا إلى جوار قبره يبكيه فى صمت ، وبعدها رجع إلى المنزل كسيرا حزينا لينزوى فى أحد الأركان تحت نافذة حجرة نومه السابقة ، صامتا معرضا عن الأكل والشراب لعدة أيام أخرى لم يبرح فيها مجلسه الحزين .

مر أسبوعين .. وذات صباح أحس / بندق بحركة تدب فى البيت على غير العادة منذ وفاة الحاج / أحمد ، خرج يستطلع الأمر .. فوجد بعض الرجال والسيدات يصلون إلى المنزل تباعا ، وسمع عم حسنين البواب يخبر عزيزه الخادمة بأن محامى المرحوم وبعض أقربائه جاءوا لفتح الوصية ، والنظر فى أمر توزيع الميراث من أموال وممتلكات فى اجتماع عائلى .

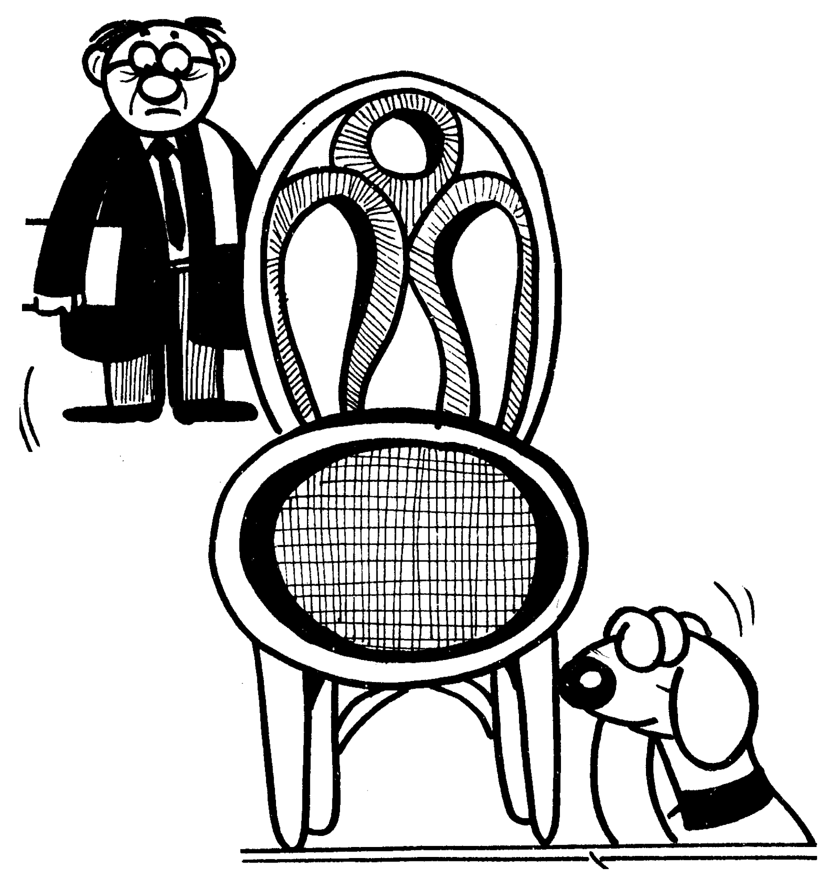
دخل / بندق إلى بهو المنزل ، وجلس تحت الكرسى الكبير حيث إعتاد بجوار قدمى صاحبه ، فوجدهم فى مناقشة حامية بعضهم يتعجب وبعضهم يحتج .. ، بينما وقف المحامى صامتا وفجأة .. ، صاح قائلا وقد نفذ صبره :-

= « ارجوكم أيها السيدات والسادة ، لو سمحتم استمعوا إلى ، أنا هنا فقط لكى انفذ وصية المرحوم الشرعية والقانونية كما أراد تماما ، وكما هى مسجلة ومعتمدة دون تدخل من أحد ، وكما قرأت أمامكم الآن وسمعتم ، لقد أوصى المرحوم بالتبرع بنصف أمواله وربع ممتلكاته لتحويل هذا المبنى إلى ملجأ ومعهد للمكفوفين ، ومدرسة لتعليم الصغار ورعاية الكبار منهم طوال حياتهم ، بينما أوصى بالربع الباقى من أمواله السائلة بالبنوك إلى خدمة الأوفياء وهم / عزيزه الشغالة و / عم حسنين البواب بالتساوى بينهما ، أما الربع الأخير فهو مخصص فقط لكلبه .. نعم كلبه / بندق فقط ، يصرف منه على رعايته وحسن إعاشته حتى وفاته ، وبعدها تؤول تلك الأموال إلى جمعية الرفق بالحيوان .. ، وقد أوكل لى تنفيذ هذه الوصية ، وطلب منى الإشراف وإدارة المعهد والملجأ الخاص بالمكفوفين ، لما عهد فينا من إدارة أمواله بكل شرف وأمانة طوال حياته والحمد لله .. ، رحمه الله وجزاه عن أعماله الطيبة خيرا ، هذا للعلم فقط .. وليس لأحد الحق فى الإعتراض أو الطعن فى هذه الوصية المستوفاة لجميع الإجراءات القانونية » . وهنا قاطعه أحدهم قائلا :-

= « هل هذا معقول .. يترك لخدمه وكلبه عشرات الألوف ، ونحن أهله وأقربائه يتركنا بلا شيىء ونحن فى أشد الحاجة لذلك .. ، هذا والله أمر لايمكن السكوت عليه » .

رد عليه المحامى بسرعة :

= « المرحوم لم ينجب أطفالا ، وليس له إخوة أو أخوات وليس له زوجة ولا أبوين على قيد الحياة ، أى أنه كما يقولون « مقطوع من شجرة » وعليه فليس لكم أى حق شرعى فى وصيته إلا بما يوصى بإرادته فقط وبشكل مباشر .. ، وهو مالم يفعله لأنكم لاتستحقون ذلك ، بينما كان خدمه وكلبه أكثر منكم وفاء وقربا



منه ، فى حين إبتعدتم عنه ولم تصلوا رحمه ، ولم يرعه أو يزوره أو يسأل عنه أحد منكم وهو على قيد الحياة والآن وبعد أن مات أسرعتم تبحثون عن أمواله .. سبحان الله ، يا سادة .. نحن لا نملك سوى إحترام رغبته » . فأسرع أحدهم يرد فى غضب :

= « حرام أن تترك هذه الأموال لهذا الكلب العجوز .. نحن أولى بها » . رد المحامى : ـ

= « لاتنسوا أنه منذ وفاة زوجته من عشرة سنوات مضت ، وهذا الكلب

الامين حارسه الوفى الذى لا يفارقه ليلا أو نهارا ، يسهر على راحته ويلبى طلباته ، وكان / بندق لا يتناول طعاما إلا مما يقدمه له المرحوم بيديه فقط .. ، هل منكم من هو أوفى منه .. ؟ لا أظن ذلك ، وتؤكد معلوماتى أنكم لم تزوره منذ خمسة عشر عاما ، ولم يسأل عنه منكم سوى من له عنده حاجة فقط .. ياللعار ، اما كلبه هذا فقد خدمه بلا أجر أو جزاء أو شكور عدا المودة والحب والرحمة » . ثم استطرد يقول بكل ثقة :-

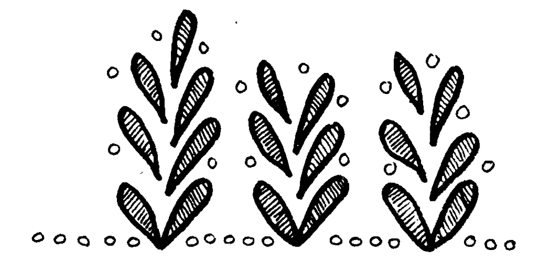
= « لقد أعلنتكم رسميا بما يفرضه على واجبى ، وسأبلغ الجهات الرسمية وسيتم تنفيذ ما أوصى به منذ هذه الساعة .. ، اشكر لكم حضوركم وانتهت الجلسة .

وقف الجميع ليغادروا المنزل وهم غاضبون ساخطون ، بينما أخذ كل من / حسنين البواب و / عزيزة الخادمة يدعون لصاحبهم برحمات الله ورضوانه ، بينما ظل الكلب / بندق جالسا مكانه يرقب الموقف ، ويتأمل مايدور حوله متعجبا .

مرت عدة أسابيع قبل أن تشب فى البيت حركة دائبة لإعادة تجديد وإصلاح المبنى ، وإعداده ليكون معهدا ودارا خيريا نموذجيا للمكفوفين من كل الأعمار ، به حجرات صغيرة لكل اثنين من النزلاء فى الدور العلوى ، مجهزة بكل وسائل الراحة والإعاشة الكريمة ، بينما خصص الدور الأول ليكون بمثابة قاعات للدراسة ، وصالات للهوايات الفنية المختلفة ومكتبة عامرة بالكتب المطبوعة بطريقة - برايل - التى تتحول بها الحروف العربية والأجنبية إلى رموز من ثقوب بارزة وفق شفرة معينة يدرسها المكفوفون ، كما خصص بدروم المبنى للورش ومعامل التدريب على بعض الحرف المنتجة كصناعة السجاد والسلال وأدوات النظافة وأعمال النجارة والهوايات اليدوية المفيدة ، كما أعدت حديقة المنزل لجلوس سكان المعهد وزوارهم ليتمتعوا بشمس الصباح شتاء ، ومتنفسا فى امسيات الصيف ، كما تم تجهيز المبنى بكل مايهم المكفوفين ويساعدهم على العيش فى راحة وأمان ، وخصص لـ / بندق مكان خاص لإيوائه ورعايته كما نصت عليه وصية المرحوم .

فى يوم الافتتاح الرسمى للمعهد ، كانت فرحة الجميع عامرة عندما وصل المكفوفون من الأطفال والشباب والكبار الذين تم قبولهم ، وبعدها بدأ توافد المدعوين من المسئولين والمهتمين بالشئون الإجتماعية وغيرهم ، وكان فى شرف إستقبالهم الأستاذ / عبدالمنعم محامى المرحوم الحاج / أحمد مدير المعهد ،

ومعه الموظفون والمشرفون والعمال المعينون لخدمة ورعاية المكفوفين ، بينما وقف / عم حسنين البواب و / عزيزة رئيسة عمال المعهد على باب المبنى وبينهم الكلب / بندق ، يشاهدون فى زهو وفرح مايدور حولهم ، ويتذكرون صاحب الفضل الأول فى هذا المشروع العظيم ، ويدعون له بالرحمة وحسن الثواب .



مر هذا اليوم السعيد المشهود على أحسن مايكون ، وفى عصر ذات اليوم بدأ بعض المكفوفين يسعون إلى النزول إلى حديقة المبنى ، وطلبوا مساعدتهم فى التعرف على جغرافية المكان ، وكم كانت فرحة / عم حسنين ومشرف الدار حين هب / بندق لمساعدة أحدهم حاول النزول بمفرده إلى الحديقة ، وأخذ يقوده كما كان يقود صاحبه رحمة الله عليه بذكاء خبير ، وهنا .. وفى هذه اللحظة بالذات ، لمعت فى رأس المشرف فكرة عظيمة وصاح فرحا ..

= « بارك الله فيك يابندق .. أحسنت وخيرا فعلت ، لقد نبهتنى لأمر مهم سأنفذه فورا » .

اتجه المشرف إلى بندق وأخذ يربت على ظهره مشجعا ومحييا ، بينما وردت نفس الفكرة إلى ذهن /

بندق أيضا .. وقال لنفسه : « إلى متى سأظل هكذا منذ وفاة المرحوم ساكنا سأعمل من الآن على خدمتهم ورعايتهم ، وإن شاء الله حين أنجب كلابا صغيرة من الجراء ، سأتولى تدريبهم وتعليمهم أصول قيادة ورعاية المكفوفين .

ولم تمض عدة أيام حتى كان مدير الدار يخطط لإنشاء مركز لتدريب الكلاب الصغيرة على قيادة ومصاحبة المكفوفين ، وتخصيص واحد منهم لكل نزيل ، يلازمة فى تحركاته ويعمل على خدمته ، وأعد لذلك مبنى صغيرا مناسبا فى الحديقة الخلفية للمبنى ، وتم بالفعل تخصيص ميزانية لشراء عدد من الجراء من السلالات الذكية التى تصلح لمثل تلك المهمة ، والاستفادة من المواهب والقدرات الخاصة التى وهبها الله لتلك المخلوقات الأمينة الوفية ، وفى نفس الوقت صمم المدير على إنتقاء إحدى الإناث الطيبة ليتزوجها / بندق ، وينجب هو الآخر جراء يدربها بنفسه عمليا لمساعدته فى مهمته العظيمة تلك .

وهكذا نشط بندق من جديد ، وتطوع لقضاء طوال يومه لملازمة أصحابه وأحبائه الجدد ، والتنقل بينهم فى أنحاء الدار يساعد هذا ويقود ذاك ، ويستدعى لهم من يشاءون من مشرفى الدار ، وبذلك أعطى درسا عمليا لبعض الكلاب الشابة التى وفدت إلى الدار بالفعل ، وكم أحس بفيض من السعادة الغامرة وهو يخدم الجميع بلا مقابل ولاجزاء ولاشكور .

وهكذا عاش بندق بقية حياته سعيدا هانئا بدوره فى الحياة ، وحوله أولاده ثم أحفاده من الكلاب الذين أحبوا البشر ، وكذلك احبهم البشر واعترفوا بفضلهم كحيوانات ودودة وفية شديدة الإخلاص ، وكم كانت فرحته وسعادته حين أحضر العمال لافتة كبيرة عليها عبارة (المركز النموذجى لتدريب كلاب المكفوفين) ، وضعت إلى جوار اللافتة القديمة التى كتب عليها .. (المعهد الخيرى لرعاية المكفوفين) .

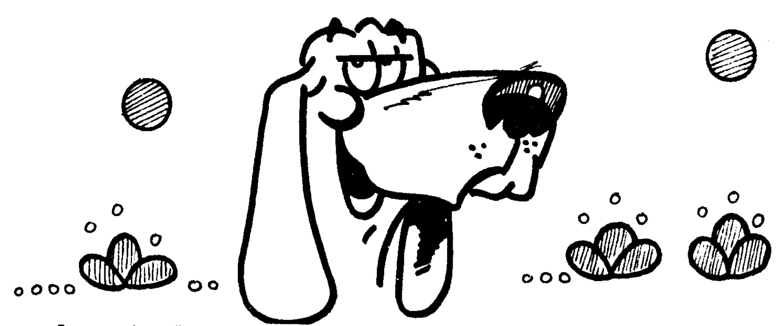
وبعد عدة سنوات قضاها / بندق فى هذا المكان العزيز إلى قلبه وذكرى صاحبه ، مات ودفن فى مقبرة أعدت له خصيصا فى وسط حديقة المركز ، نصب فوقها مشهد صغير كتب عليه .. (تخليدا لذكرى كلب وفى) .


عودة الكلب الضال
عنبر يبحث عن عنبر



لم يدرك / عنتر أنه يقينا كان يعيش أحلى أيام عمره ، إلا بعد أن مر مؤخرا بتلك التجربة المريرة القاسية .. تربى / عنتر فى مزرعة جميلة يتوسطها قصر تمتلكه احدى العائلات الثرية ، عاش فيها سعيدا بين أقرانه من الكلاب فى جوار المنزل والمخازن والحظائر ، وبين العمال الذين يتولون رعاية المزروعات والماشية والطيور المنزلية بمختلف نوعياتها ، الى جانب المئات من الطيور التى تسكن الأشجار الموزعة على حدود وطرقات المزرعة وبين أرجائها ، وقد وضعت له ولزملائه عددا من الاكشاك الخشبية الصغيرة ، يستخدموها كمأوى لهم يستريحون ويتناولون غذاءهم بها ، والجميع هنا فى وئام وسلام وحب وتعاون تام .



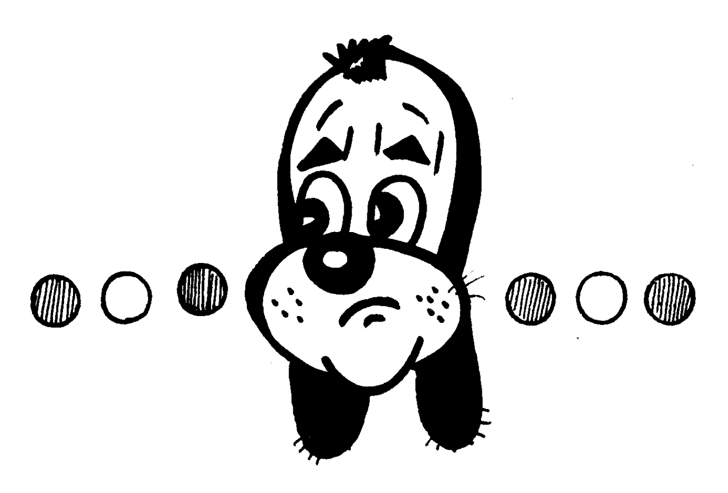


وترجع أحداث قصة / عنتر هذه الى يوم وصلت فيه الى المزرعة سيارة فخمة تستقلها عائلة ثرية من أقرباء صاحب المزرعة ، هبت الكلاب وبينها / عنتر لاستقبال السيارة وجرت خلفها وهى تنبح برفق ، تستطلع أمر الضيوف الذين وفدوا إليهم فجأة .. وقفت السيارة أمام باب القصر ونزل منها رجل وسيدة أنيقة رقيقة ، وعلى الفور .. أسرع كبير العائلة وزوجته لاستقبال الضيوف ، وأشار الى الكلاب أن تجلس هادئة فأطاعته ، وبعد أن لقى الضيوف كل الترحاب إلتفتت السيدة نحو السيارة ، وأشارت بيدها ليهبط منها بسرعة زوج من الكلاب الصغيرة الرقيقة (اللولو) ذات الشعر الأبيض اللامع الممشط ، وقد لفت رقبة كل منهما بشريطة حمراء عقدت على شكل فيونكة جميلة .. إشرأبت أعناق الكلاب ووقفت على أطرافها الأمامية ، وهمس كل منهم الى زميله قائلا : -

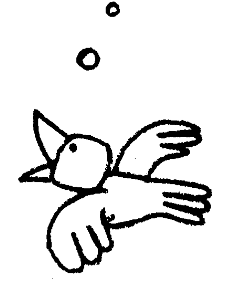
ياه .. ما هذا .. ؟ يالها من مخلوقات رقيقة أنيقة مدللة ، هل هذه الكلاب مثلنا ؟ .

دارت هذه التساؤلات بين كلاب المزرعة وهى تتبادل النظرات المندهشة فيما بينها دون تعليق ، وترقب ما حولها وتهز ذيولها إنبهارا .. لقد شدها هذا المشهد الغريب .. !! ، أما تلك الكلاب اللطيفة ، فقد جرت وقفزت بخفة ورشاقة لتلتقطها السيدة بين ذراعيها برقة وحنان كطفلين صغيرين ، ثم أخذت تربت على ظهرها فى دلال ، بعدها اتجهت الضيفة وهى تحمل كلابها مع مضيفتها الى داخل المنزل ، فى الوقت نفسه طلب زوجها من الخدم نقل الحقائب بعناية الى الداخل ، وأشار الى احدى تلك الحقائب قائلا : -

ارجوك ياعزيزى أن تحمل هذا الصندوق بعناية شديدة ، فهو يحوى الأغذية والمعلبات والألبان والأدوية الخاصة بالأولاد (لولا ، لولى) آسف .. أقصد كلابنا الصغيرة ، ثم احملا هذاين السبتين المخصصين كسريرين لهما ، الى الحجرة المعدة لنا مع جزيل الشكر ..



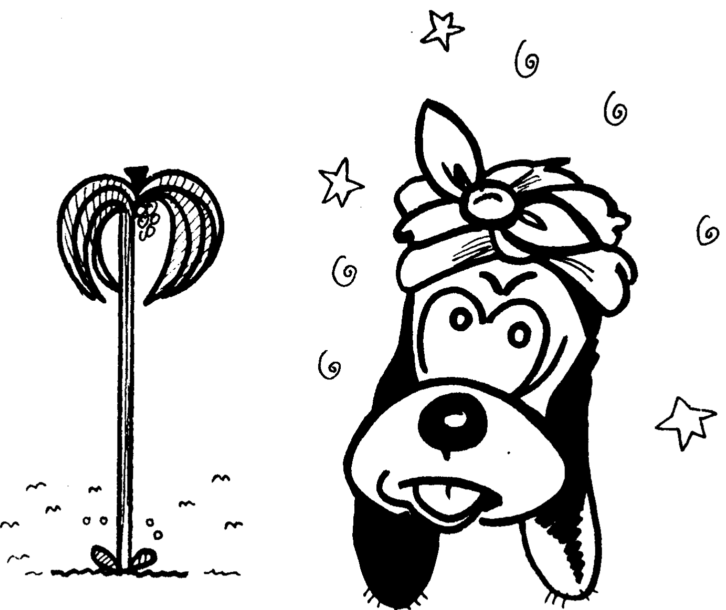
سمعت الكلاب هذا الحوار وآثرت أن تنسحب من المكان بسرعة ، فقد شاهدوا لأول مرة مخلوقات مثلهم ، ولكنها مرفهة مدللة على نحو لم يألفوه من قبل والتفت احد الكلاب إلى إخواته وتساءل وكأنه يفكر بصوت مرتفع :



ما هذه المخلوقات .. ؟ أهي الكلاب مثلنا أم للزينة فقط وليس لها من فائدة سوى الترفيه عن أصحابها .. هل عليها واجبات أو لديها قدرات خاصة .. ؟ أعليها أن تكد وتعمل في سبيل لقمة العيش مثلنا .. ؟ ألحياتها هدف ومعنى .. الله أعلم ..



وهكذا .. رجع كل كلب الى مقر عمله ، وتبادلوا نظرات صامته يملؤها التعجب أو الاستهجان من بعضهم ، في حين إعتبر بعضهم أن الأمر لا يهمه ولا يعنيه في شيء ، فهم راضون بما فرضه الله ووهبهم اياه .. وما شاء الله كان .



ولكن هذا المشهد الغريب لم يمر على الكلب / عنتر مر الكرام ، فقد أثاره بشدة وجعله يتجه حزينا وقد اعتراه الشعور بالإحباط الى أحد الاشجار المورقة ، وجلس تحتها يتأمل ويستعرض ما حدث أمامه منذ دقائق ، وأخذ يقارن بينه وزملاءه من كلاب المزرعة وأقرانه فى المزارع المجاورة ، وبين تلك المخلوقات الرقيقة المنعمة ، محاولا الرد على العديد من التساؤلات التى تتوارد بقوة الى خاطره : ـ

ما هذا الذى رأيت .. ؟ أهناك كلاب مثلنا تعيش فى هذا الرغد والنعيم ، لها من يكفلها ويرعاها ويعتنى بها غذائيا وصحيا على هذا النحو ، بينما نتشرد ونجوع ونمرض كما تموت الملايين من أطفال البشر مثلنا تماما .. ياللعجب .. !! ، نحن نقضى حياتنا كلها فى العراء والخلاء ، نتعرض لمطر الشتاء وبرده ، وحر الصيف وقيظه ، نسهر الليالى بطولها بعيون وآذان وأنوف يقظة مفتوحة ، نحرس المنازل والمنشآت بأمانة وعناية ، ويمتد عملنا طول الليل والنهار بلا كلل ، نصاحب الرعاة والزراع نهارا ، ونمنع الغرباء من الاقتراب من الأمكنة المكلفون بحراستها .. بينما تنام هذه الكلاب فى فُرُش ناعمة دافئة بجوار أسرة أصحابها ، وربما تنام فى احضانهم أيضا .. !!سبحان موزع الأرزاق والدرجات .

قام / عنتر يتفقد المكان ثم ذهب الى داره الصغيرة عندما أحس بالجوع ، ليجد بعض لقيمات من الخبز الجاف ، أكلها بشيىء من الضيق والضجر ثم شرب جرعات من الماء الموضوع فى « المسقى » الخاص به ، وجلس قليلا للراحة ولكن .. لم تلبث أن عادت الى ذهنه تلك الأفكار السوداء ، تأرقه وتلح عليه ليسأل نفسه ثانية .. :

لماذا نعيش على هذه الصورة نشقى فى سبيل الآخرين .. ؟ ولماذا تعيش تلك الكلاب المتأنقة على العكس منا ، هناك من يخدمها وييسر لها حياتها ومتطلباتها دون عناء يذكر .. ؟

هـل يتميزون عنـا فى شيىء .. ؟ هل لهم قـدرات وإمكانـات وكفـاءات أعظم منا .. ؟ لا أظن ذلك ، هل .. هل .. ؟ أعتقد انها مجرد كلاب تستخدم لملاعبة الأطفال والكبار ، وربما يقتنيها الكبار من البشر ممن حـرموا نعمـة الانجاب كبـديل عن الأطفال .. ربما .

يجب أن اعترف بأنى مجرد كلب عادى لم أتلق تدريبا أو إعدادا خاصا ، وليست لى مواهب خارقة أو كفاءات غير عادية ، ولكن .. ربما لدى ما لم أكتشفه أو يكتشفه فى أصحابى بعد .. !! ولكن طموحاتى وتطلعاتى لا حد لها ولن أصبر على هذه الحياة المملة الباهتة ، لذا .. سأبحث لنفسى عن مجال أو مكان آخر أصبح فيه أكثر شأنا ، نعم .. بالتأكيد قد تنفجـر هناك مـواهبى واكتشف قدراتى وأصبـح من الكلاب الشهيرة ، فطالما حلمت بأن أكون مثل :

● قطمير ، الكلب صاحب أهل الكهف من المؤمنين الذين ذكرهم الله فى قرآنه الكريم .

● سوتر ، كلب الحراسة البطل الذى جرى عشرات الكيلومترات دون توقف حتى أسوار مدينة (كورنث) الاغريقية القديمة ليحـذر أهلها من هـجـوم وشيك للأعداء .

● رن تن تن ، الكلب الألمانى نجم أفلام (رنتى) ، قدم ١٩ فيلما حتى مات عام ١٩٣٢ .

● لاسى ، الكلبة النجمة الأمريكية التى انتجت لها ولاخواتها عشرات الأفلام والمسلسلات التليفزيونية منذ عام ١٩٤٢ الى الآن .

● الكلب هول ، هو من أشهر الكلاب البوليسية المصرية ، وقد أفـاد بقدرتـه الفائقة على الشم وتعقب الاثر فى اكتشاف الجناة ، وتحقيق العدالة فى المئات من القضايا .

● لايكا ، الكلبة التى صعدت الى الفضاء الخارجى عام ١٩٥٧ بالمركبة سبوتنيك الروسية .

● دارت فى نفس / عنتر هذه الخواطر ثم استطرد يحث نفسه قائلا :

لدى إحساس بأنى لست أقل منهم شأنا ، وسيتهافت البشر على رعايتى ربما أكثر من تلك الكلاب المدللة التافهة ، وسأكون أكثر نفعا لنفسى وللغير .. نعم نعم هو كذلك !!

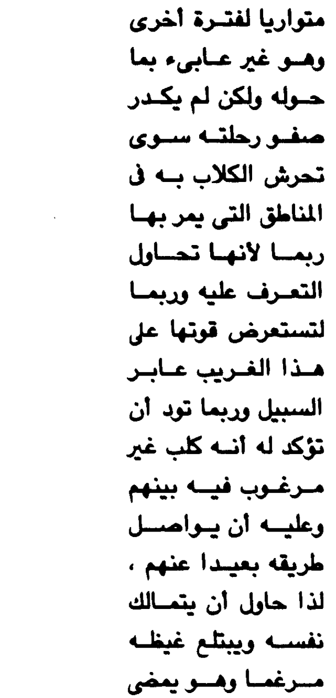
قام الكلب / عنتر من جلسته مزهوا بنفسه مفتونا بأحلام يقظته ، وأخذ يدور فى المكان على غير هدى بلا إتجاه محدد ، وقد عزم على بحث الأمر بدقة ووضع الخطط التنفيذية لتحقيق أحلامه ، ومرت عدة أيام وفكرة الخروج الى أرض الله الواسعة تلح عليه وتطرق رأسه باستمرار ، لذا .. أخذ ، عنتر يبحث عن مكان بعيد يختفى به بين المزروعات الكثيفة ، يفكر فيما سيقدم عليه وما سيترتب عليه فى مستقبل حياته ، وأخذ يكرر اختفاءه لعدة ساعات كل يوم تدريجيا ، حتى لا يثير الشبهات عند اختفائه نهائيا ، ومرت عدة أيام .. أحس بعدها بأن أحدا لم يعد يهتم به أو يتحقق من تغيبه أو تواجده ، بل لم يتركوا له طعاما منذ يومين وكأنه لم يعد يعنهم ، وهكذا أصبح الأمر واقعا ملموسا وعليه تنفيذ ما عزم عليه على الفور .

فى المساء تسلل / عنتر بخفة الى أكشاك زملائه من كلاب المزرعة ، والى حيث يترك الحراس والعمال طعامهم ليلتقط منه ما يجد من غذاء ، تحسبا لما قد يجابهه من ظروف أو ملابسات غير متوقعة ، ومع بزوغ فجر اليوم التالى ، بدأ عنتر هجرته دون هدف معين ، ثم غادر المزرعة غير نادم ، عازما على أن يبذل غاية جهده وصبره ومثابرته لتحقيق آماله وأحلامه ، واثبات ذاته ككلب متميز أو هكذا يتوهم .. !! متيقنا من كفاءاته وامكانياته التى تؤهله لأن يصبح شيئا ما فى عالم الكلاب ، وبين كل المخلوقات التى تعيش من حوله .

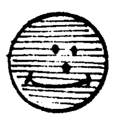


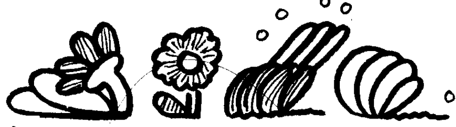
ابتعد / عنتر كثيرا عن موطنه ، وسار لا ينظر خلفه كأنما ينسلخ عن ماضيه الى حاضر ومستقبل جديد ، يمشى تارة ويجرى تارة ، ثم يستريح متواريا لفترة أخرى وهو غير عابىء بما حوله ولكن لم يكدر صفو رحلته سوى تحرش الكلاب به فى المناطق التى يمر بها ربما لأنها تحاول التعرف عليه وربما لتستعرض قوتها على هذا الغريب عابر السبيل وربما تود أن تؤكد له أنه كلب غير مرغوب فيه بينهم وعليه أن يواصل طريقه بعيدا عنهم ، لذا حاول أن يتمالك نفسه ويبتلع غيظه مرغما وهو يمضى



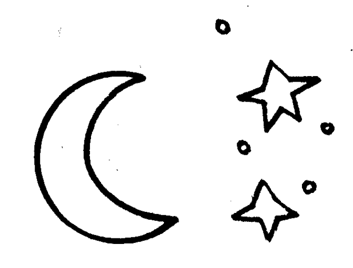




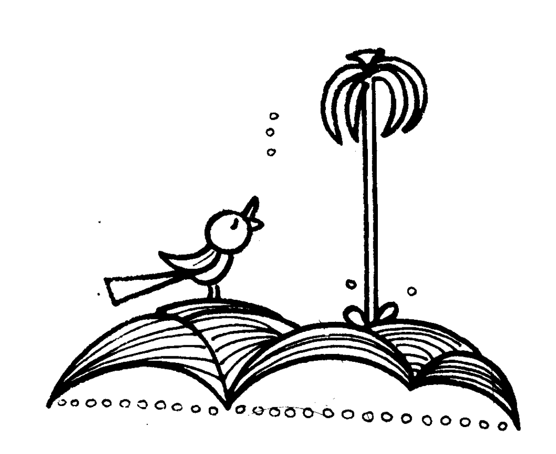




بينهم صامتا خافض الـراس مستسلمـا متخاذلا يثنى ذيله بين رجليـه الخلفيتـين ليتركوه يمضى فى حال سبيله .



أقبل الليل وأحس / عنترو بالجوع يلوى امعاءه بشدة ولم يجد مفـرا من البحث عن شيىء يقتـات بـه ، فتسلـل بخفة ليبحث بـين اكوام القمـامـة حول القرى لعله يجد بها ما يسـد رمقه ثم اختبـأ فى كـومـة من القش بأحد الحقول ، حتى أخذه النوم بعد أن هـده التـعـب والارهاق طوال اليوم ، ومع اشراقة فجر اليوم التـالى استيقظ ليـواصـل رحلتـه الى اين .. لا يدرى .

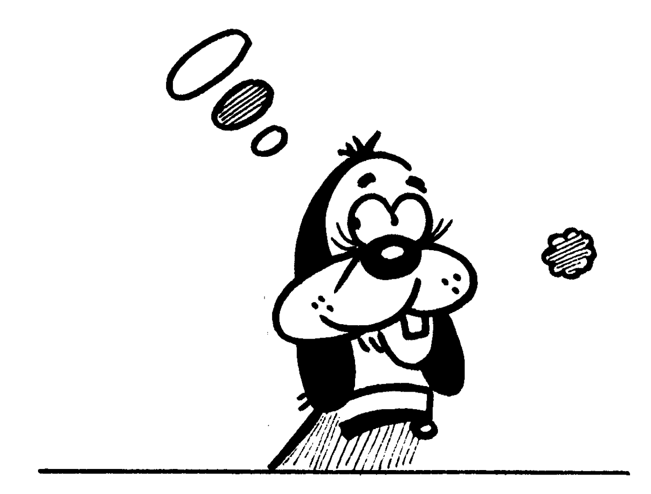


بدا / عنتر استئناف مسيرته لعدة ساعات دون هدى الى إتجاه غير معلوم ، ثم استوقفه حب الاستطلاع على مسافة غير بعيدة من احدى المزارع ، فتوارى لفترة يراقب المكان بدقة ، ولاحظ أنه ليس بها سوى كلب واحد صغير مازال جروا فقال لنفسه باهتمام :

هذه فرصة كبيرة يجب أن يستغلها على الفور .. لماذا لا اقدم نفسى لأصحابها بشكل جيد حتى يستبقونى لديهم ، وقد أصبح كلبهم المفضل وأنال وحدى كل عنايتهم ورعايتهم .

تقدم / عنتر وهو يخطو بحذر شديد نحو المزرعة ، وما أن اقترب من حظائرها حتى أحس به الكلب الصغير ، وجرى نحوه محتجا ينبح ثائرا بشكل اثار انتباه أصحابه ، واتجه الى حيث وقف هذا الكلب الكبير الغريب يواجهه بجرأة وشجاعة ملحوظة مستعدا للتحرش به وفى الحال .. أمر صاحب المزرعة بطرد هذا الكلب الضال وإبعاده عن المكان فورا ، ربما يكون مصابا بالصرع أو غيره من الأمراض المعدية التى قد تضربمن فى المزرعة ، وبسرعة إلتقط احد الرجال عصا غليظة واسرع ناحيته فلم يجد / عنتر بدا من الفرار والالتجاء الى الحقول الكثيفة وهو يلهث من التعب ثم استأنف سيره ولكن إلى أين .. ؟ لا يعلم .

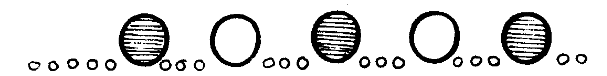




مرت عدة ساعات أخرى ، وعاد / عنتر ليستريح وقد هدة التعب وأضناه البحث عن أى شيىء نعم أى شيىء يقتات به وبينما هو كذلك سمع نباح عدد من الكلاب ، يحثهم رجلان على مطاردة شيىء ما .. وبدأ الصوت يقترب أكثر فأكثر من مكانه فهب واقفا يستطلع الأمر واذا بثعلب يجرى تجاهه فجال بخاطره هاتف يحدثه قائلا :

لقد بعث لى القدر بهذه الفرصة التى لا تعوض ، هيا إلحق بهذه المطاردة لعلك تقع على صيد ثمين ، ليصبح لك بين هذه الكلاب وأصحابها شأن كبير ، هيا قبل أن يفلت منك .

وبسرعة البرق .. دفعته غريزته للإنطلاق بلا تفكير وراء الثعلب حين اقترب منه ، وبهت الثعلب حين فوجيء بالكلب يخرج من كمينه لينضم الى مطارديه ، فانطلق فى الاتجاه الآخر كالسهم وانطلق / عنتر فى أثره هلل الرجال فرحا حين وجدوا كلبا غريبا يساعدهم فى مطاردة الثعلب ، وأخذوا يشجعونه بشدة ، ولكن ..



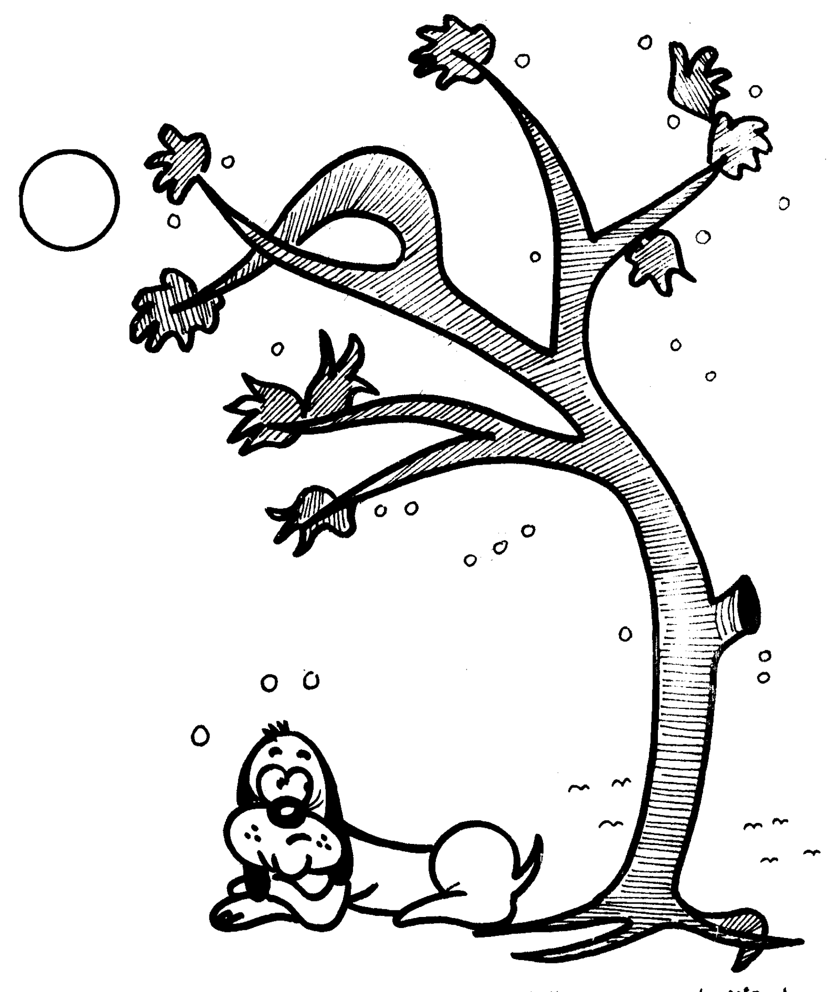
إتسعت المسافة بين عنتر والثعلب رويدا رويدا .. وخلفهما بقية الكلاب ، شعر / عنتر بالتعب والارهاق الشديد وأحس بأن قلبه يكاد ينفجر فى صدره ، فلم يعد يتحمل هذه المطاردة غير المتكافئة وقد تخطته الكلاب الأخرى بسرعة واحد تلو الآخر وهكذا ابتعد الثعلب وفى أثره بقية الكلاب على مسافة كبيرة تحاول اللحاق به بينما اصبح هو آخر المطاردين واختفى الثعلب تماما بين المزروعات ، ولم يجد عنتر بدا من الوقوف وقد مزقه التعب ، حتى مر به الرجال وهو يصبون عليه اللعنات ..

إذهب عليك اللعنة أيها الغبى ، لقد ضيعت علينا فرصة لا تعوض جاءك الثعلب بنفسه واصبح فى متناولك ولكنك خيبت ظننا فيك اذهب الى الجحيم أخذلك الله .

تركه الرجال وشرعوا فى العودة آسفين بعد أن نادوا على كلابهم .. وظل / عنتر فى مكانه وقد أحس بخيبة الأمل لضياع فرصة سنحت له بالصدفة ، وظل لفترة طويلة واقفا يجمع شتاته ، محاولا ابعاد اليأس عن نفسه ورفع معنوياته المنهارة يحدث نفسه : -

لماذا ألوم نفسى هكذا ، إننى لم أكن بالطبع مستعدا نفسيا ولا جسمانيا لهذه المطاردة والتجربة القاسية التى مررت بها فجأة رغما عنى ، وكان هذا السباق صعبا جدا وغير متكافىء بينى وبين ذلك الثعلب الماكر خفيف الحركة ، لاسيما وانا جائع خائف مكدود مشرد ، وعلى كل حال .. لاداعى للندم والحسرة فستأتينى إن شاء الله فرصا أفضل .





استأنف / عنتر مسيرته الغامضة ، وظل هائما على وجهه ينزوى بين الزرع والشجر تارة ويستريح أو يمشى يبحث عن شيىء يقتات به تارة أخرى ، ثم واصل رحلته وتوهانه باحثا عن مأوى أو عمل يلتحق به ،لعل الحظ يلقى اليه بفرصة أخرى تحقق له بعض آماله .

وهكذا ظل / عنتر هائما على الطرقات لعدة أيام .. وبينما هو سائر بجوار إحدى القرى رأى زمرة من الرجال وبينهم بعض الكلاب ، يدورون ويدورن .. يتحسسون ويحملقون فى كل شبر من قطعة أرض بور ، تقع على مسافة غير بعيدة من بيت يطل على أحد الحقول ، والكلاب بينهم يتشممون الارض جيدا كأنما يبحثون عن شيىء ما وبسرعة قال لنفسه :

ما هذا فلاقترب منهم اكثر فأكثر .. ولكن بهدوء حتى أتبين حقيقة الأمر .

أخذ / عنتر يقترب منهم بحذر ، وعندما أحست الكلاب باقترابه أخذت تنبح مستنكرة وجوده ، ولكن الرجال أمروها بالصمت والعودة لاستكمال مهمتهم وسمع / عنتر الرجال يتحدثون عن / الواد سمعان الذى سرق بعض الحلى من أحد المنازل ، وشوهد وهو يحفر ليخفى شيئا ما ثم يهيل عليه التراب ويسويه جيدا وحين ألقوا القبض عليه أنكر تماما ، لذا قرروا البحث بأنفسهم والاستعانة بحاسة الشم القوية التى تتمتع بها الكلاب وأخذوا قطعة من ملابسه الشخصية ووضعوها على أنوف الكلاب لكى تتشممها جيدا لتتبع أثر رائحته فى المسروقات ، وعلى الفور هب / عنتر متطوعا للمساعدة واقترب منهم فقال أحد الرجال :

انظروا ياأخوانى .. هذا الكلب الغريب جاء وحده يتشمم الأرض محاولا مساعدتنا .

هيا هيا تقدم لعلك تفلح فيما فشلت فيه كلابنا حتى الآن ولك كل الشكر والثناء .

تقدم / عنتر وحاول أن يقترب من حامل ملابس / سعفان ليتشممها فقربها الرجل من أنفه وتركه يعمل بين كلابهم حتى استنكرت وجوده فى البداية وحاولت التحرش به ، ولكنه بدأ البحث معهم من جديد فى همة ونشاط واتسعت دائرة البحث .. وأخذت الكلاب ومعهم / عنتر يتشممون الأرض بكل عناية هنا وهناك ومن زاوية الى أخرى دون جدوى وفجأة .. زمجر أحد الكلاب وأخذ ينبش الأرض بمخالبه كأنما توصل الى شيىء ما وانضمت بقية الكلاب إليه واحد تلو الآخر بينما / عنتر يدور ويدور وحده فى اتجاه مخالف .. هرع الفلاحون تجاه البقعة التى تنبش فيها الكلاب وابعدوها عنها وامسك أحدهم فأسا ليستكمل الحفر ، ولم تمض ثوان حتى ظهرت لفافة من القماش إلتقطها أحدهم وفضها ليجد بها الحلى المسروقة .

وصاح أحدهم : هيه الحمد لله .. وجدنا المسروقات بفضل كلابنا الوفية .

هلل الجميع فرحا .. بينما نبحت الكلاب بدورها كأنما سعدت هى الأخرى بما أنجزت ، وأسرع الرجال الى الكلب الذى توصل الى مكان اللفافة يشكرونه ويربتون على رأسه قائلين :

أحسنت .. أنت كلب طيب وموهوب لك عندنا كل التقدير، ومن حقك أن نهبك اليوم غذاء طيبا ان شاء الله بينما إتجه أحدهم الى عنتر قائلا باستهزاء :

إيه أيها الكلب الغريب ، حسبناك عنترا ستأتى بما خفى على كلابنا ولكنك خيبت ظننا ، والحمدلله .. فعلها واحد موهوب منهم ، ولكننا نشكرك لمجرد المحاولة .. هيا هيا إذهب حال سبيلك فتح الله عليك .. هيا قبل أن تتحرش بك كلابنا فهى عادة لا ترحب بالغرباء .

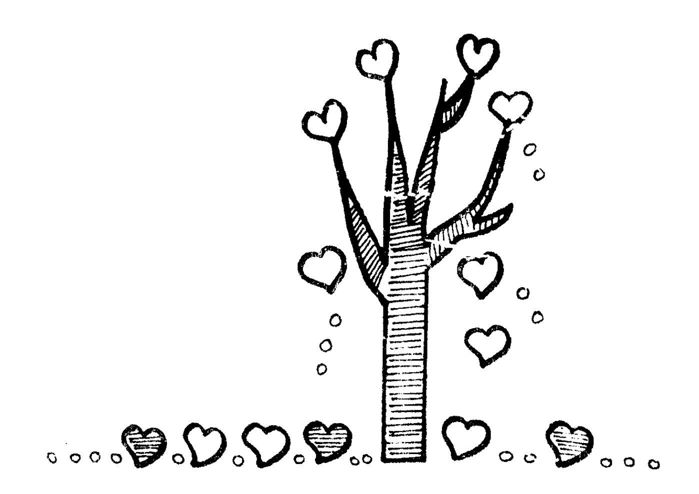
هكذا لم يجد / عنتر بدا من مغادرة المكان وهو حزين يجر أذيال الخيبة للمرة الثالثة ، ولم يجد منذ ترك مرتع صباه سوى الفشل والجوع وسوء المعاملة ، وكلت أقدامه فى البحث عن شيىء يأكله ومكان آمن يأوى إليه ، وجلس مهموما يستعرض تجربته المريرة ، وما آلت إليه نفسه من مهانة فى الأيام الأخيرة ، وأخذ يلوم نفسه بشدة على ما صنعته يداه قائلا : ـ

ماذا ألم بى .. كنت أعيش هانئا بين إخوتى وأصحابى نعيش راضين قانعين بما قدمه الله لنا كما كفل لنا اصحاب المزرعة حدا كافيا من الرعاية والأمان ، لا يكدرنا الخوف من حاضر أو مستقبل مجهول .. صحيح قد تمر بنا الأيام رتيبة مملة باهته ، ولكن هذه هى حياتنا التى خلقنا الله من أجلها ، عطائون متفانون فى خدمة الآخرين لا نطلب فى المقابل سوى المعاملة الحسنة واللقمة والكلمة الطيبة ، لا نسأل كساءا ولا ملبسا ولا مشربا ولا غذاء فاخرا ، فأقل القليل يرضينا ، وكلمة شكر ومسحة رقيقة على الرأس تسعدنا .

سكت / عنتر برهة ، ثم استطرد يعاتب نفسه :

لقد سطر الله لكل مخلوق حظه فى الحياة على قدر امكانياته وظروفه وعمله واجتهاده ، ولكن ليس لنا حق الاعتراض على مشيئة الله سبحانه وتعالى ، ومن العيب أن نترم أو نحسد من ينعم الله عليه بخير عميم ، حتى لا تنفشى روح الحقد والبغضاء بين المخلوقات ، وواجبنا أن يسعى كل منا الى بذل جهده وإمكاناته لإثبات كفاءته ، والعمل على تطوير وتدريب ذاته لاكتساب إحترام ومحبة الآخرين ، وأن ننتهز الفرص المتاحة لمواصلة التقدم وهو ما يزيدنا رضا وقناعة وحبا للنفس وللآخرين .

على الفور قرر / عنتر العودة طائعا راضيا الى حيث أتى نادما على ما فعل ، لاسيما وأن الواقع قد أثبت أن كفاءته ومواهبه محدودة فى مجالات معينة ، وعليه أن يرفع من مستواه النفسى والعقلى والبدنى قبل ان يقبل على مثل هذه



التجربة ، وربما تكشف له الايام عن مجال جديد تتفجر فيه مواهبه وتتحقق به آماله .

مرت عدة أيام قبل أن يصل / عنتر الى منزله الذى هجره ، وكم تأثر كثيرا لاستقبال زملائه الذين افتقدوه حقا ، وكم هزه كل هذا الحب والود الذى قابلوه به عندما رأوه يدخل الى المزرعة وقد أحنى رأسه خجلا ، ولم يستطع أن يرد على عشرات الأسئلة التى إنهالت عليه تستفسر عما حدث له ، وأين كان طوال تلك المدة .. ولكنهم تركوه بعد أن دخل منزله الخشبى الصغير وقد انهمرت دموعه بشدة على وجنتيه تأثرا ، وفى نفس الوقت هرع اليه بعض العمال يرتبون عليه برفق ، وأسرع اليه البعض بالغذاء والماء النظيف وقد راعهم ما آل إليه حاله من الهزل وسوء المظهر ، وبعد عدة أيام عاود / عنتر الخروج من مكمنه ليمارس أمور حياته كما كانت تدريجيا ، ويوما بعد يوم .. نسى / عتر أو تناسى تلك التجربة القاسية التى مرت عابرة فى أفق حياته ، ولكن بقيت فى ذاكرته دائما كلمات يجب الا تنسى :

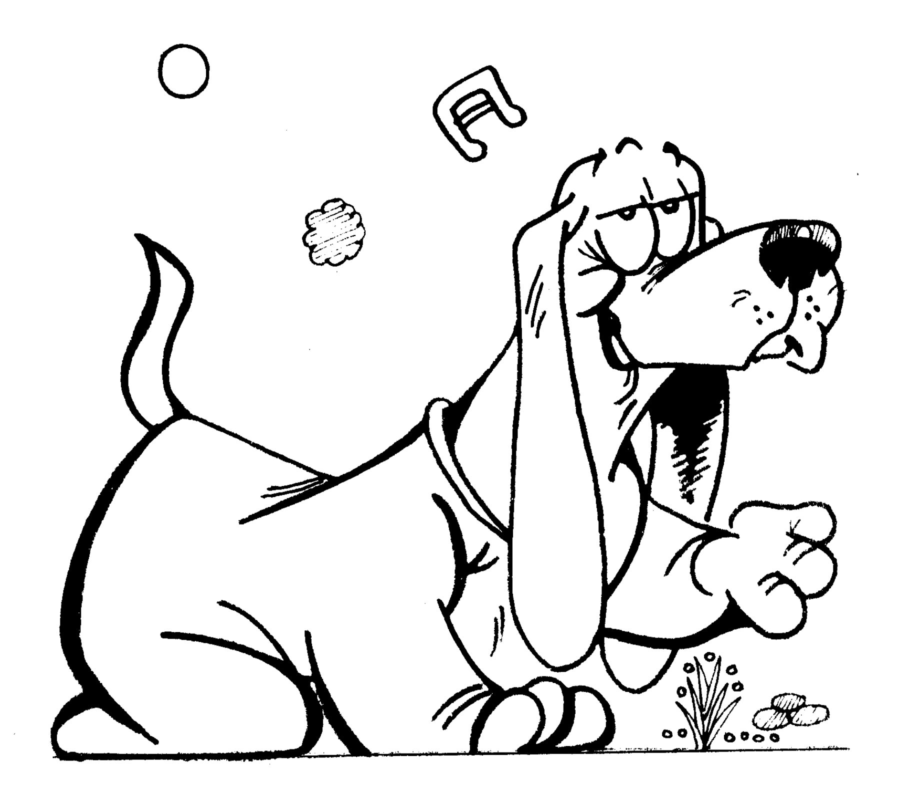
رحم الله إمرىء عرف قدر نفسه و عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم .

حراس الأمان

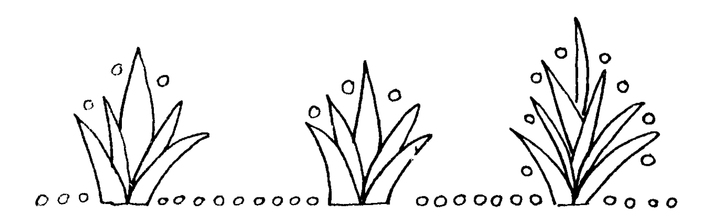




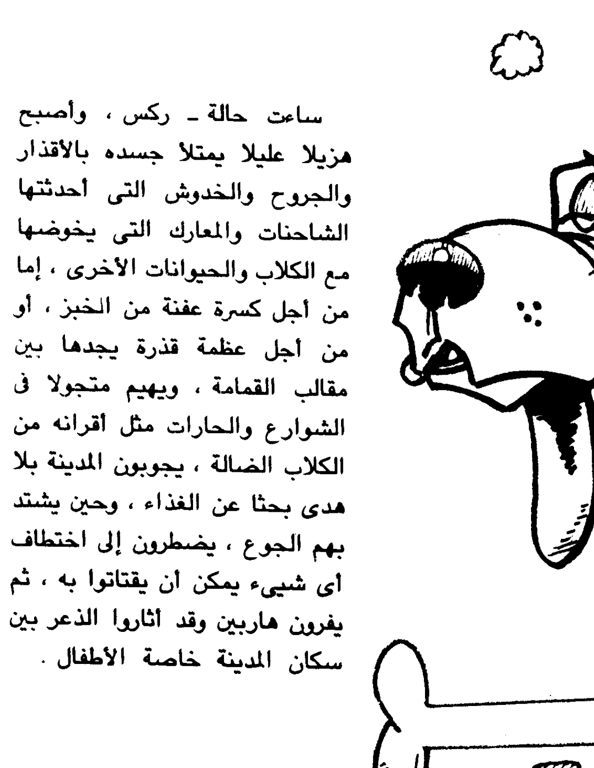
أفاق الكلب ـ ركس ـ من ذهوله ، ووقف مذعورا يرتجف رعبا وهو يختبأ بين أكوام من الأجولة والصناديق والصفائح ، وغيرها من المهملات الملقاة فى ساحة مفتوحة خاصة بأحد المصانع ، فقد جرى لمسافة طويلة بأقصى مايملك من قوة خوفا من هول مارأى ، واستطاع أن يفر هاربا من الشباك ومن طلقات رصاص عربة صيد الكلاب الضالة التى كانت تطارده ، وظل الكلب على هذا الحال لعدة دقائق ، حتى استطاع أن يتماسك قليلا ويجمع شتات نفسه لتخف رعشته ، ولكن ظل بعدها لعدة ساعات منزويا بلا حراك ، محاولا استعراض الأحداث السريعة التى مرت به ، وهو يفكر فى ما آل إليه من ضياع وتشرد وحياة بائسة .



نشأ ـ ركس وتربى منذ مولده سعيدا منعما فى بيت كبير ، فى كنف عائلة كان كبيرها يحب الحيوانات الأليفة خاصة الكلاب ، يدربها لتصبح كلاب مطيعة نافعة مفيدة مدربة على الحراسة والصيد وتتبع الأثر .. الخ ، ولكن للأسف .. ودوام الحال من المحال .. ، تغيرت الأمور بسرعة شديدة بعد وفاة صاحب البيت وكبير العائلة التى تربى بينها ..، فقد ساق له القدر من أهمل تربيته ورعايته ، وتركه تائها بلا مأوى ودون رعاية أو اهتمام ، وبعد معاناة شديدة ، إضطر إلى ترك البيت ليهيم جائعا متشردا بلا صاحب أو رفيق .

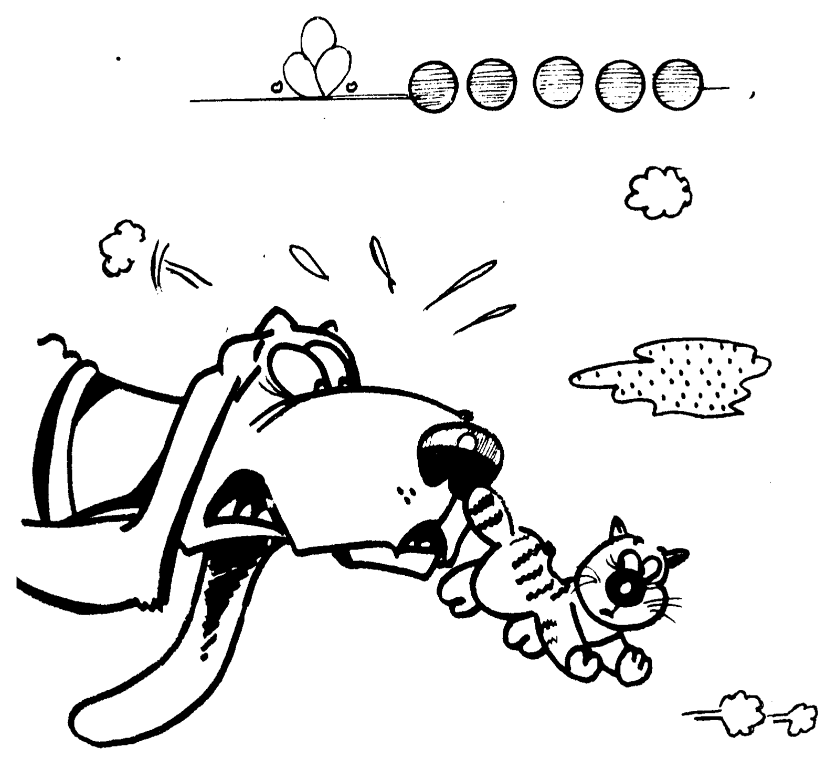


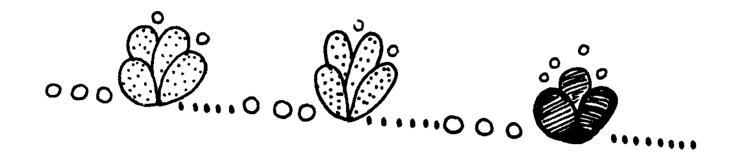


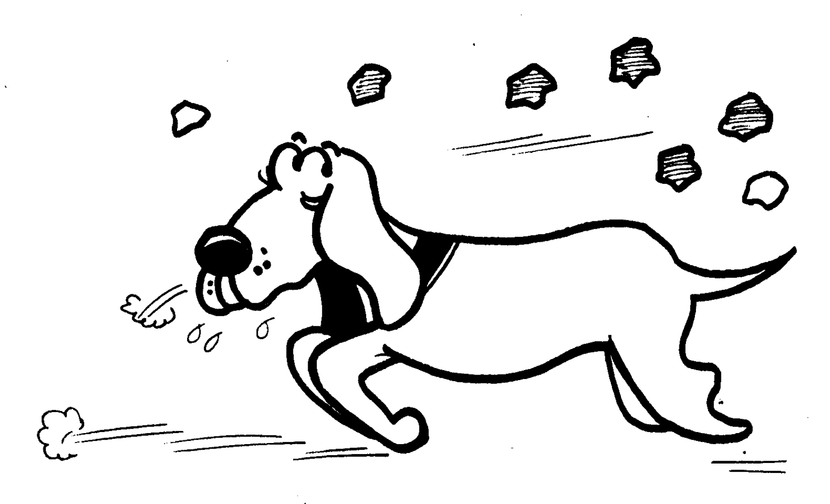


ساءت حالة - ركس ، وأصبح هزيلا عليلا يمتلأ جسده بالأقذار والجروح والخدوش التى أحدثتها الشاحنات والمعارك التى يخوضها مع الكلاب والحيوانات الأخرى ، إما من أجل كسرة عفنة من الخبز ، أو من أجل عظمة قذرة يجدها بين مقالب القمامة ، ويهيم متجولا فى الشوارع والحارات مثل أقرانه من الكلاب الضالة ، يجوبون المدينة بلا هدى بحثا عن الغذاء ، وحين يشتد بهم الجوع ، يضطرون إلى اختطاف اى شيىء يمكن أن يقتاتوا به ، ثم يفرون هاربين وقد أثاروا الذعر بين سكان المدينة خاصة الأطفال .

وهكذا اصبح ـ ركس ـ واحد من شرزمة الكلاب الضالة التى اصبحت مصدرا دائما لقلق وانزعاج الأهالى ، خاصة بعد أن بدأوا يهاجمون الحيوانات الصغيرة الأخرى أو يهاجمون الأطفال والكبار احيانا ، وفى الليل يملأون البلدة نباحا وعواء وضجيجا ، وقد تنقلب تجمعاتهم إلى ساحة من المعارك والصراعات الدامية القاتلة أحيانا ، تنافسا للسيطرة على الغذاء أو المكان بين مجموعات الكلاب الضالة الأخرى .







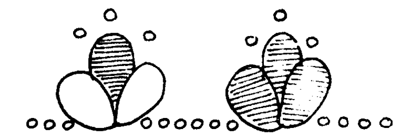
وبذلك أصبحت الكلاب كلها بلا إستثناء مطاردة من الجميع ، يرمونهم بالحجارة أو يطلقون عليهم الرصاص خوفا من اذاهم أحيانا ، وربما خوفا من الإصابة بمرض الصرع المعروف بداء (الكلب) ، الذى قد ينتشر خاصة بين الكلاب الضالة ، ومرض خطير مميت قد ينتقل إلى الإنسان إذا عقره أحد الكلاب المصابة ، لذا .. لم تجد السلطات الحكومية الرسمية والشعبية بدا من إعداد فرق خاصة من رجال الشرطة وغيرهم ، مهمتها اصطياد وجمع تلك الكلاب بعد إصابتها بالطلقات المخدرة ، ثم استخدامها فى إجراء التجارب فى معامل البحوث العلمية والطبية وغيرها ، أو قتلها إذا تعذر صيدها حية ، وتقديم لحومها إلى حدائق الحيوان طعاما للأسود والنمور والطيور الكاسرة .. الخ .







وهكذا انتابت ـ ركس ـ حالة من الكآبة والحزن ، واسودت الدنيا فى عينيه وأخذ يفكر فيما وصلت إليه الأمور من سوء ينذر بمستقبل لايبشر بخير ، مستعرضا ما آل إليه حاله لعله يجد مايصلح به مجرى حياته الكئيبة ، لذا . . قرر أن يبحث الأمر برمته مع أقرانه وأخلص أصدقائه من الكلاب ذات الأصل الطيب والمنبت الحسن مثله ، خاصة بعد أن تدهور بهم الحال إلى هذا المستوى والمآل المعيشى المنحط . .



مرت عدة ساعات قبل أن يطمئن ـ ركس إلى ابتعاد مواطن الخطر المميت عنه مؤقتا ، وقرر التسلل ليلا فى هدوء إلى حيث يتجمع اقرانه ليعرض عليهم ماحدث ، وما أن وصل إلى هناك حتى اصيب بخيبة امل شديدة ، وعلم انه قد فقد بالفعل عددا من زملائه بين قتيل أو معتقل .. ، جلس ـ ركس بينهم صامتا حزينا ، ثم هب سوجها الحديث إليهم قائلا :

ماذا نفعل الآن أيها الأصدقاء بعد أن جرى لنا ماجرى .. ؟ ماذا سنفعل بعد أن وصل بنا الحال إلى هذه الصورة المزرية .. ؟، لقد ضاقت بنا الأرض بما رحبت ...، ولم تعد لنا المعيشة المطمئنة فى هذه البلد أو غيرها ، وطالما نحن على هذا الحال من التشرزم والضياع ، سنلقى المزيد والمزيد من المعاناة ، وربما يقضون علينا تماما لتطهير المدينة منا ، بعد أن عانى سكانها من كثرة المشاكل نسببها لهم ...، صمت ركس قليلا ثم قال :

لابد أن نعترف ياإخوانى بأننا أصبحنا فى الحقيقة نمثل مصدرا للقلق والخطر على بنى البشر ، بينما يحتم علينا الواجب والضمير أن نكون أكثر المخلوقات وفاء واخلاصا وحرصا على سلامتهم ...، ماذا جرى وحل بنا .. ؟ لقد كنا نعيش فى بحبوحة ننعم بالراحة والأمان ، وكان هناك دائما من يعتنى بنا ويشرف على رعايتنا ، ولكن .. للأسف اصبحنا نعيش فى العراء ينهش البرد اجسامنا الهزيلة ونتصارع فى سبيل البقاء ، هذا ياإخوانى جزاء ما عملته ايدينا من سيئات ..

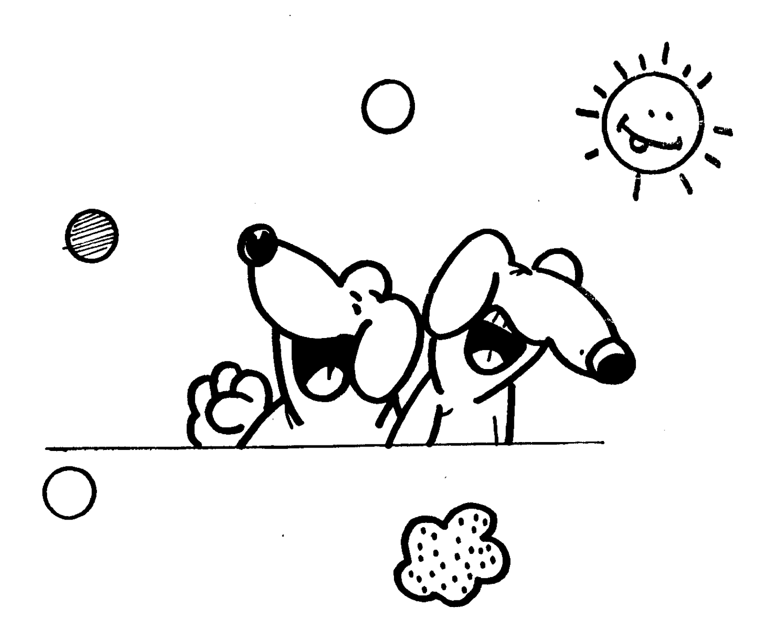
سكت / ركس قليلا وهو يتلع أشجانه ، والجميع فى صمت . . ثم استطرد يقول :

لن أطيل عليكم ياأصدقائى ، فكلكم تعانون مثلى وتعرفون تماما ما اشير إليه ...، وبعد تفكير طويل .. ، وجدت أنه من الضرورى البحث عن حل جذرى يرحينا من مشاكلنا ، خاصة واننا لن نستطيع العيش كأعداء لبنى البشر ومخلوقات الله الأخرى التى نعيش بينها ، ولانستطيع أيضا أن ننفصل أو ننعزل عن المجتمع ، ولكن .. من الواجب أن تكون لنا فائدة وهدف وطموح فى هذه الحياة ، وبالطبع يا إخوانى ليس من صالحنا أن نعيش على هامشها مطاردون مهددون بالموت فى أى لحظة . وهنا قاطعه أحدهم صائحا :

ماذا سنفعل ياعزيزى ..؟ لقد سدت كل الطرق فى وجوهنا ، ولكن ماالحل ..؟ على الفور .. رد عليه ـ ركس ـ بكل الثقة والاهتمام :

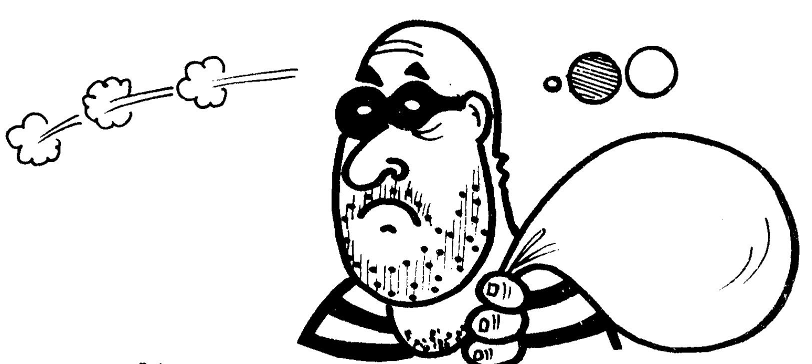
لابد من ان نصلح من انفسنا اولا يا اخى.. ، ثم علينا ان نتعهد فيما بيننا الا نعتدى او نؤذى اى كائن من كان ، ولنتصالح مع البشر ونستعيد ثقتهم فينا ، ولنعود كما كنا نعمل لخدمة الآخرين بكل الاخلاص ليتولوا هم بالتالى رعايتنا والعناية بنا ، لنصبح كما عهدونا شرفاء أمناء أوفياء ، نتفانى فى خدمتهم وحراستهم والسهر على راحتهم ولو على حساب راحتنا ، وهكذا .. سوف يحسون بالحاجة إلينا وبالأمان فى وجودنا إلى جوارهم ، ولنقف بالمرصاد لكل من يؤذيهم أو يحاول الإضرار بهم ، لصا كان أو خائنا أو مخربا أو حيوانا غريبا أو متوحشا .. الخ ، وننبههم بالنباح ساعة الضرورة فقط ، والاشتباك مع من يمسهم بسوء ولو أدى الأمر إلى بذل أرواحنا بشجاعة وتفان فى سبيلهم .





هلل الجميع استحسانا وموافقة وتأييدا بلا حدود لـ ركس ...، وبعد هذه الدعوة الجادة والطيبة والشجاعة ، تعاهد الجميع وأقسموا يمين الولاء على التنفيذ الدقيق والجاد لما اتفقوا عليه ، وعلى الفور بدأوا تقسيم انفسهم إلى مجموعات تتولى إعلان وإعلام بقية كلاب المدينة ، يدعونهم للانضمام إليهم والإلتزام بتنفيذ التعليمات بدقة ، أو مغادرة المدينة فورا إذا رفضوا الإستجابة لهذه الدعوة الشجاعة فى سبيل حياة أفضل .

وبالفعل قسم الكلاب انفسهم إلى مجموعات تتكون كل منها من اثنين ، ووزعوا أنفسهم على العديد من مناطق المدينة على شكل دوريات حراسة ، وفى مساء اليوم التالى .. تسلل الكلاب فى صمت لتتخذ كل مجموعة منهم مكانها المحدد ، واختبأوا بحيث لايكتشف امرهم أحد ، ولكى يمكنهم الإشراف من مكانهم على مربع أو جزء معين من المدينة .



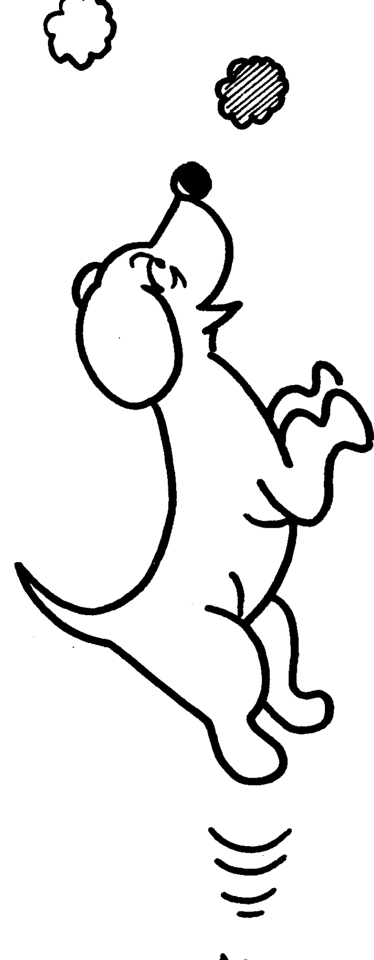
وهكذا كان البدأ فى تنفيذ المهمة بدقة ، وفى أول تجربة عملية ومن حسن الحظ ، لاحظت احدى المجموعات وجود شخص يتسلل متلصصا تجاه أحد المنازل قبل الفجر ، ثم عبر الحديقة إلى أحد الأبواب يحاول كسره ، الخ .. لقد كسره بالفعل ودلف إلى الداخل وهو ممسك بجوال ، وهنا .. سأل أحد أفراد المجموعة زميله قائلا :

الآن ماذا سنفعل ياصديقى .. ؟، هل نهاجمه داخل المنزل ، أم نتركه حتى يخرج بمسروقاته لنمسك به متلبسا وسط الشارع ، ويرانا الجميع ونحن فى هذا الموقف ..؟.

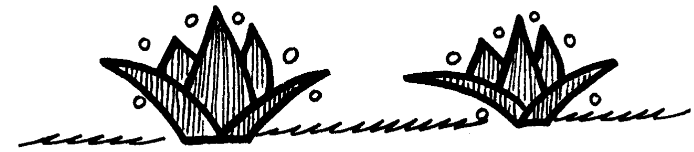
قاطعه زميله قائلا بكل الثقة والرضا :

فعلا .. لك كل الحق يازميلى .. هذه فكرة طيبة ، هيا لنمسك به أمام الجميع .

لم تمض لحظات حتى خرج اللص متسللا يحمل مسروقاته ، وقبل أن يبتعد كثيرا عن باب المنزل وفى وسط الحديقة ، قفز عليه الكلبان وأمسكا بتلابيبه وهما ينبحان بشدة .. ، سقط اللص على الأرض وهو يصرخ رعبا طالبا النجدة إهتز من هول المفاجأة ، بينما أحد الكلاب يشل حركة يده وهو يمسكها بين أنيابه بقوة ، فى حين وقف الكلب الثانى جاثما فوق صدره نابشا اظافره فى ساقيه وانيابه أمام رقبته مباشرة ..، ولم تمر ثوان معدودة حتى فتحت الأبواب والشبابيك ، وخرج السكان مسرعين متعجبين لهذا المشهد الغريب ، وأمسكوا باللص حتى جاءت سيارة الشرطة ، وفى غمرة تلك الأحداث إنسحب الكلبان فى هدوء وخفة ليختفيا فى الظلام بعيدا عن المكان ، ولكنهم يراقبان الموقف من بعيد وهم فى سعادة غامرة ، وما أن أصبح اليوم التالى ..، حتى كانت قصة هذين الكلبين حديث المدينة كلها .



على الجانب الآخر من المدينة ، دارت أحداث قصة مشابهة ..، فقد حاول أحدهم سرقة إحدى السيارات ، وما أن هم بفتحها وسرقة محتوياتها حتى برز له فجأة كلبان كبيران ، طرحاه أرضا بجوارها وهو ممسك بالمفاتيح المصطنعة وأمسكا به حتى هرع إليهم أصاحبها والجيران الذين استيقظوا على نباحهما وصرخات اللص ، وأمسكوا به حتى وصلت الشرطة ، بينما اختفى الكلبان عن الأنظار في هدوء .. !!.





وهكذا أصبحت مجموعة الكلاب التى اطلقوا على أنفسهم (حراس الأمان) ، مثار للدهشة والجدل بين سكان المدينة ، الذين تعجبوا من هذا التطور المفاجىء لحال تلك الكلاب الضالة التى طالما أزعجتهم وضايقتهم كثيرا ، ولكن من الآن تغير الأمر تماما .. خاصة بعد أن مر الكلب الزعيم ـ ركس ـ على جميع كلاب المدينة ، ليبلغهم بضرورة الحفاظ على الهدوء ، وعدم إثارة أى ضجيج فى المدينة خاصة فى الليل ، وعدم الإقتراب من المنازل وإزعاج سكانها ، وعدم إيذاء ومضايقة الأطفال أو الحيوانات الأخرى ، على أن يتم تنفيذ هذا الأمر بدقة ، ومن يخالف تلك التعليمات سيتصدى له حراس الأمان بكل شدة وحزم .

وفى الليالى التالية ، لاحظ الناس أن مدينتهم أصبحت هادئة تماما ولم يحدث بها ما يعكر الصفو ، وبعدها بدأت الكلاب تظهر فى وضح النهار ، تجلس بعيدا فى هدوء تراقب أرجاء البلدة ، وياسبحان الله .. على العكس مما كان يَحدث ، بدأ السكان يتقربون من الكلاب يبتسمون ويقدمون لهم الأطعمة النظيفة ، لتعود الثقة بينهم من جديد تدريجيا .

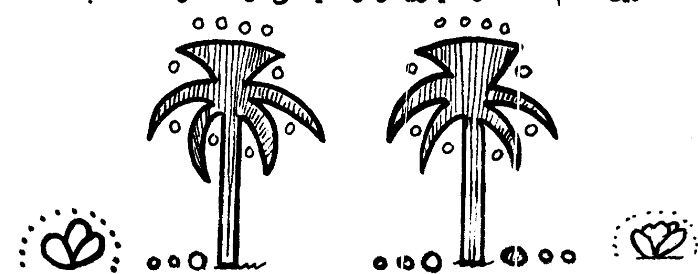
ولكن كان من الضرورى على حراس الأمان من الكلاب أن ينتهزوا تلك الفرصة ، ويثبتوا كفاءتهم وحسن نواياهم بشكل أكثر وضوحا ، خاصة وقد أصبحوا مثارا لتبادل الحديث بين أهل البلدة كل يوم ، وصاروا محورا لسرد أعمالهم البطولية والشجاعة .

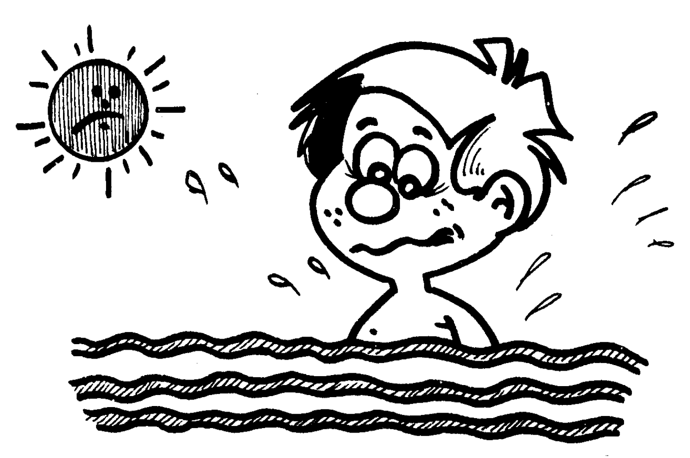
أما فى مقر رئيس المدينة ، وفى الاجتماع الأسبوعى لمجلسها المحلى ، روى رئيس الشرطة على الحاضرين وقائع القصة التالية بسرور :

أيها السادة ، أمس .. وفى حديقة المدينة ، جلست إحدى الأمهات تتحدث مع صديقتها ، ولم تلق بالا لعربة طفلها الصغير التى أوقفتها أمامها ، ورويدا رويدا .. بدأت العربة تتحرك وحدها نحو منخفض بأرض الحديقة ينتهى بمنحدر وسلالم حجرية ، وفجأة .. أسرعت العربة بالطفل نحو المنحدر ، وصرخ الحاضرون بالأم لتنتبه لطفلها بينما أسرع البعض فى محاولة لإيقافها دون جدوى ، والأم تهرول وراءهم صارخة مولولة .

فى هذه اللحظة الحرجة ، بهت الحاضرون حينما إنشقت الأرض عن كلبين خرجا من بين شجيرات الحديقة ، شقا طريقهما بسرعة فائقة نحو عربة الطفل حتى لحقا بها ليمسكاها بفكيهما من مقبضها بينماينشبان أظافرهما بقوة فى الأرض ... حبس الجميع أنفاسهم عندما اقتربت العربة من حافة المنحدر ، وقبل أقل من متر واحد من السلالم الحجرية ، استماتت الكلبان فى جذبها للخلف حتى أوقفاها تماما فى آخر لحظة ، وهنا .. هرع الجميع نحوهم والأم تبكى فرحا وهى تلتقط طفلها ، ووقفت الكلاب وهى تلهث بشدة ، وأسرع الحاضرون إليهم يربتون عليهم حنوا وشكرا ، فخفضت الكلاب رأسها خجلا واستحياء وهى تهز ذيلها فى تواضع رغم أنهما أنقذا الطفل من موت محقق ، وفى هدوء إنسحب الكلبان ليختفيا بين الشجيرات .

صمت قائد الشرطة لبرهة كأنه يحاول أن يستوضح أثر كلماته على الحاضرين ، ثم استطرد يقول وهو لايخفى رضاه وسعادته بذلك :





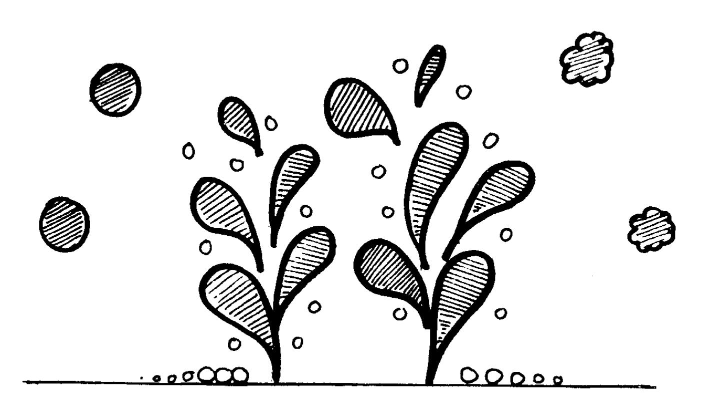
أما صباح اليوم ياسادة ..، فقد كان لأحد تلك الكلاب الصديقة دورا لايقل فدائية ونبلا عما حدث بالأمس ، فعلى حافة شاطىء النهر الذى يمر عبر مدينتنا وبجوار أحد الكبارى ، جلس عدد من الصبية بسنانيرهم يزاولون هواية صيد الأسماك ، وعندما أحس أحدهم بأن سمكة كبيرة قد التقطت الطعم شب واقفا مستعدا لها ، وفجأة .. زلت قدمه ليسقط فى النهر بينما هب رفاقه يصرخون طلبا للنجدة ، وحاول الصبى التماسك دون جدوى .. وقبل أن يختفى الصبى تماما تحت الماء ، تقدم أحد المارة مسرعا ليستطلع الأمر ، وعلى الفور أسرع يخلع ملابسه الخارجية ، ولكن فجأة .. ظهر من أسفل الكوبرى كلب إندفع كالسهم ليلقى بنفسه فى النهر ،.. ولأن الكلاب سباحة ماهرة بطبيعتها ، غطس وخرج من تحت الماء ممسكا بالصبى الذى فقد وعيه وهو يجره من ملابسه ، ويدفعه من الخلف نحو شاطىء النهر ، فى حين أسرع الشاب لمساعدة الكلب فى إخراجه إلى الشاطىء وطرد الماء من رئته ، ومحاولة إفاقته وعمل الإسعافات اللازمة له ..

على الكوبرى وعلى شاطىء النهر ، وقف العشرات من المواطنين يصفقون إعجابا بالكلب الشجاع الذى أنقذ حياة الصبى ، وبنيما الجميع يقدمون الشكر والتحية للشاب الذى ساعد على إنقاذه ، إنسحب الكلب فى هدوء وهو يهز نفسه بقوة ليدفع الماء عن جسده ، ثم اختفى فجأة كما ظهر فى غمرة العناية بالصبى دون أن يدرى به أحد ولكن بقيت حكايته على السنة الجماهير ..، هذا ماحدث ياأعزائى بالتفصيل أرويه لكم دون تعليق .

وما أن اتم قائد الشرطة حديثه حتى تقدم أحد اعضاء المجلس طالبا الحديث ، وقال : فى أحد ميادين وسط المدينة ، شاهدت بنفسى واقعة مماثلة بطلها أيضا أحد الكلاب من حراس الامان ..، فبينما كنت أجول ببصرى بين معروضات احدى الفاترينات ، انبعثت من أركان الميدان صرخات عارمة التفت والتفت الجميع نحو مصدرها ، لنرى رجلا ضريرا يعبر الميدان متجها نحو وسطه خطأ ، وفى الوقت نفسه كانت إحدى سيارات الأتوبيس تندفع نحو وسط الميدان تجاهه بشكل يوحى بحدوث كارثة محققة ، ولو حاول السائق تفاديه أو إيقاف سيارته الممتلئة بالركاب ، لتسبب فى إنقلابها أو صعودها إلى أحد الأرصفة نحو المنازل أو المحلات والمارة لتصبح كارثة كبرى ..

وقف الرجل الضرير وتسمر فى مكانه كما تسمر الجميع عند سماع صوت السيارة ، ولم يملك أحد أن يفعل أى شيىء ، ولكن .. كانت المفاجأة عندما انشقت الأرض عن كلب من الكلاب الصديقة ، إندفع فى ثانية نحو الضرير ليمسك عصاه ويجره بقوة إلى الإتجاه الآخر مبتعدا عن طريق السيارة التى مرت بجوارهم على بعد خطوة واحدة ، ومرت عدة ثوان .. أفاق الجميع بعدها ليجدوا الضرير بخير ، وأن السيارة قد مرت بسلام ، والكلب مازال ممسكا به يقوده بأمان إلى طريقه الصحيح ، تنفس الناس الصعداء .. الحمد لله .. ، سبحانه الذى أرسل هذا الكلب الشجاع فى الوقت المناسب ، هلل الجميع وصفقوا وهو يقود الضرير فى هدوء وكأنه لم يفعل شيئا يذكر . سكت المتحدث قليلا ،.. ثم أكمل حديثه قائلا :





ياسادة .. هناك شيىء ماحدث ويحدث كل يوم ، فبعد أن كنا نشكو من الكلاب بشكل جعلنا نضطر إلى العمل على إصيادها أو إبادتها ، خاصة الكلاب غير المرخصة والضالة المتشردة التى لايهتم بها أحد ، ولكن سبحان الله ، وعلى غير العادة .. تغير الحال تماما وتغيرت سلوكيات الكلاب بشكل غريب يثير الحيرة والدهشة ، فقد نصب الكلاب من أنفسهم حراسا للأمان ، يهبون بوحى من أنفسهم للمساعدة فى القبض على المجرمين ، وتطوعا لنجدة الغير بطريقة فدائية وبطولية فذة .. ماذا حدث ، الله أعلم .

وهنا قاطعه الحاضرون بالتصفيق .. ثم استطرد قائلا :

ايها الأخوة الأعزاء ، انا أطالب بمساعدة هذه المخلوقات اللطيفة الوفية الشجاعة والاستفادة من خصالها الطيبة ، وأتساءل .. لماذا لانجمعها برفق ؟، ونطلب ممن يحبونها ويربونها أن يساعدونا لنرسل بها إلى مركز متخصص ، لتدريبها ورعايتها وتطوير قدراتها واستغلال مواهبها التى حباها بها الله سبحانه وتعالى ، والاستفادة منها فى حراسة المنازل .

رقم الايداع ١٧٧٦٣/٢٠٠٠
الترقيم الدولى I. S. B. N - ٩٧٧ - ١٧ - ٠١٠٧ - x

طبع بمطابع مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر